

الحمد لله والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآلـه وصحبه رأـمـواـنـه سـرـسـلـوـلـلـأـبـيـاءـ

أصحاب المعلى، أصحاب السعادة ، أيها الإخوة الأفاضل المشاركون كل باسمه وكريم وصفه ووسمهـ في مؤتمر الدوحة حول "دور الأديان في تنمية الأجيال".

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد، فإنه ليؤسفني -غایة الأسفـ أن أغيب عن هذا الاجتماع الرفيع لكتاب العلماء والقادة الدينيين في بلد معطاءـ، بين إخوة أصدقاءـ، وذلك بسبب المرض الذي ألم بيـ، حيث كنت قبل أيام في المملكة الأردنية الهاشمية لحضور مؤتمر آخر ولكني نقلت إلى المستشفى بعد الجلسة الافتتاحية بعذالة سمو الأمير غازي بن محمدـ، ومع ذلك فقد كنت متشبثاـ بحضور هذا اللقاء الهام إلى جانب الضيف المحترمينـ؛ إلا أنـ أعراض هذا المرض جعلت الأطباء يصررون على النصح بعدم السفر "والمرض عنيـدـ" كما يقالـ.

وإنـي أقدر مكانة الداعي وأهمية موضوع الدعوة المتعلقة بتربية النشء في هذه البيئة العالمية الملوثة فكريـاـ، والمرتبـكة تـقـافـياـ، والـقـلـقة اقـتصـادـياـ واجـتمـاعـياـ.

فالـأمر يتعلق بتلـوتـ النفـوس البـشـرـيةـ، وبـخـاصـةـ لـدىـ أولـئـكـ النـاشـئـةـ الـذـينـ غـادـرـواـ حـاضـنـةـ الـبـيـتـ والمـدرـسـةـ، بـلـهـ دـورـ العـبـادـةـ؛ لـيرـتـمـواـ فـيـ أحـضـانـ الـمـجـهـولـ وـيـسـلـكـواـ سـبـيلـ الـمـتـاهـةـ، حيثـ مشـاهـدـ عـنـفـ وـصـرـاعـ وـشـوـاهـدـ اـنـحلـلـ وـضـيـاعـ.

أما أولـئـكـ الـعـابـرـةـ الـذـينـ سـبـرـواـ أـغـوارـ الـفـضـاءـ فـإـنـهـمـ عـجـزـواـ وـنـكـصـواـ أـمـامـ أـعـماـقـ الـنـفـسـ الـبـشـرـيةـ.

وبـاختـصارـ فإنـ هـذـهـ القـضـيـةـ تـطـرـحـ منـ الأـسـلـةـ أـكـثـرـ مـاـ توـفـرـ مـنـ الأـجـوـبـةـ؛ فـمـنـ هـذـهـ الأـسـلـةـ: هلـ يمكنـ استـرـجـاعـ الـقـيـمـ الـتـيـ كـانـتـ سـمـاـوـيـةـ ثـمـ اـنـتـقلـتـ إـلـىـ إـنـسـانـيـةـ لـيـصـبـحـ الـعـالـمـ الـمـسيـطـرـ الـيـوـمـ فيـ الـنـهـاـيـةـ بـلـ قـيـمـ سـوـىـ الـقـوـةـ وـالـجـشـعـ وـالـأـنـانـيـةـ إـلـىـ آـخـرـ موـكـبـ الـقـيـمـ الـبـدـيـلـةـ الـتـيـ هـيـ قـيـمـ "ـالـإـنـسـانـ الـأـخـيـرــ"ـ.

وـهـلـ رـجـالـ الـدـيـنـ مـسـتـعـدـونـ لـأـدـاءـ الشـهـادـةـ لـيـكـونـواـ قـوـامـينـ بـالـقـسـطـ فـيـ عـالـمـ يـمـوجـ بـالـظـلـمـ وـالـطـغـيـانـ؟ـ

هـلـ نـحنـ عـلـىـ اـسـتـعـادـ لـلـتـخـيـفـ مـنـ وـطـأـةـ الـمـظـالـمـ الـتـيـ يـعـانـيـ مـنـهـاـ الـعـالـمـ، وـبـخـاصـةـ فـيـ مـنـطـقـتـاـ الـعـرـبـيـةـ حـيـثـ تـغـيـبـ فـيـ فـلـسـطـيـنـ آـفـاقـ الـسـلـامـ فـيـ غـيـاـهـبـ الـظـلـمـ وـالـظـلـامـ؟ـ إـنـ الشـهـادـةـ هـنـاـ مـطـلـوـبـةـ وـالـأـجيـالـ الـقـادـمـةـ مـنـ كـلـ الـأـطـرـافـ مـرـتـهـنـةـ.

هل نحن على استعداد لترشيح القيم المشتركة، قيم التسامح والعدل والحق والإنصاف؛ لِتَكُونُ لنا المصداقية لدى هذه الأجيال؟

هل نحن مستعدون لنعيش الروحانية الحقيقية للدين؟ حتى نستردّه من أيدي الطغاة والقتلة وعصابات الإجرام، حتى يكون الدين كما كان جذاباً وجميلاً ورضاً وبرداً وسلاماً لا إكراه ولا إعنات، بعيداً عن تشنّة الأجيال على روح الكراهة والبغضاء وإنتاج سلبيات التاريخ من جديد.

هل حكومات العالم -أمام الكوارث البيئية والإفلاس الاقتصادي والحروب والعدوان- مستعدة للاصغاء إلى نداء الدين، إلى نداء الأخلاق، إلى نداء الضمير الإنساني؟

الأسئلة كثيرة، والمشكلات معقدة، والكلمات عاجزة؛ فيمكن أن نقول: إن الاستعانة بالباري جلت قدرته، وبالبحث عن الإرادة الصادقة للإنسان، خليفة في الأرض، والعودة إلى منابع الفضيلة والقيم الفاضلة، والتعاون الصادق بين كل المهتمين بحاضر الإنسانية ومستقبلها، وفي طليعتهم رجال الدين ومتخذو القرارات بروح المسئولة وضمير الإنسانية. كفيلة بتقديم جواب.

وأخيراً: فإننا نمثل قول أبينا إبراهيم عليه السلام (ومن ينقطع من رحمة ربِّه إِلَّا الضالون) ووصية نبِي الله يعقوب لأبنائه كما جاءت في القرآن الكريم (يَا بَنِيَّ إِذْهَبُوا فَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَأسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَبْيَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ)

فلا نيأس من روح الله ورحمته ولا نقط من فضله ولا بياس ببعضنا من بعض.

داعياً أن يكون مؤتمركم هذا بداية الطريق الطويل مضيفاً قيمة إلى جهود أخرى لم تصل إلى أهدافها بعد.

راجياً لكم التوفيق ولدولة قطر الكريمة الازدهار، مكرراً بلغ الاعتذار، وطالباً دعاءكم.

والله يحفظكم ويرعاكم ويبارك جهودكم.

أخوكم

عبد الله بن بيته
الرئيس التنفيذي للمركز العالمي للتجديد والترشيد-لندن
نائب رئيس الاتحاد العالمي للعلماء المسلمين
وزير العدل في موريتانيا -سابقاً-